

﴿ عذاب الفضلاء ﴾

نشرنا في الفصل السابق شيئاً من اقوال احدى الكتّابات بشأن ما يصيب اصحاب الملايين من الاحزان لتوحدنهم وعدم ثقتهن باحد وابتعاد اولي الاخلاص عنهم وتقرب اولي المداهنة والرياء منهم . وهي اقوال كان لها بعد ان نشرت بقليل صدى رن في كل مكان فقام الكتاب يتجادلون عليها ويهتمون من اجلها حتى لقد ارسلت احدى الصحف الى الاغنياء تسألهم آراءهم في ذلك وهل صحيح ما قالت تلك الكاتبة او لا فنهم من اعترف بصدق ما قالت ومنهم من انكر انهم منفردون متوحدون بدعوى انهم يعاشرون امثالهم ممن لا يطمعون فيهم فيكون ثم اخلاص محض وثقة تامة

ولقد كان في جملة الذين انبروا للدخول في هذا المضمار المستر كارنيجي الغني المحسن العظيم فانه نشر مقالة طويلة بهذا المعنى قال فيها انه ليس الغني وحده بمحسود او هو المختص بالحزن والضيق بل ان اولي الفضل الكبير والشهرة الواسعة هم ممن يدخلون في جملتهم حتى يمد من يحسدنهم او يغبطهم على ضلال مبين وذلك لان الناس تتقرب حركاتهم وسكناتهم على الدوام والقاد محتاطون باقوالهم من كل جانب يوسعونها نقداً كما انهم متبعون اينما حلوا وساروا بالذين يريدون مقابلتهم والتحدث معهم والذين يريدون تصويرهم والظفر بخطوطهم ونقل اصواتهم ونحو ذلك شيء كثير يجعل حياتهم في اشد الاضطراب حتى لقد يقال ان الصداقة المحضة تعز عليهم فلا يظفرون منها باثر وكذلك الحب لانه ما من رجل يتقرب من انثى اذا

كانت كاتبة عظيمة الا لغاية وهي الزوج بها والتشرف بقرباها وجر المغنم
من مالها وما من انثى تعجب برجل عظيم الا وهي على ذاك الامل دون ان
يكون في فؤادها حب حقيقي حتى لقد ذكر عن كاتبة واحدة ان معدل
ما ردها من الكتب في طلب الزواج كل اسبوع يبلغ خمسمئة كتاب فاية
مضايقة تكون اشد من هذه المضايقة ولا سيما وان المرأة لا تزال غير
متزوجة لانه قد عز عليها ان تظفر بالخاص من بين هؤلاء الجماهير

ثم ان الكاتب او الشاعر الشهير قد ظلم من فرط علمه حتى لا يرحمه
احد فهو دائما معروف من الناس اينما نزل وفي اية ارض حل حتى انه
يحاول التوحد والعزلة محاولة فلا يستطيعها لانه مقيد من غيره بالدعوات
المتابعات والرسميات المتواليات كما انه مقيد من نفسه بالذود عنها والمدافعة
عما يتهم به ويؤاخذ عليه من اقواله ومقيد ايضا بحب ابقاء تلك الشهرة له
وعدم منازعة احد لفضله والتبريز عليه كما انه دائم القلق والتوقع لحملات
المدعين والجهلاء والمتظاهرين بالعلم وامثالهم ممن ينفصون معيشته ويسدون
عليه مذاهب الراحة

هذا معنى ما يقوله كارنيجي وهو ما اشرنا الى كثير منه في مقالة
ماضية بعنوان « مضايقة الفضل لاهله » كما ان كل الذي يقوله ذاك الغني
بماله عن الاغنياء بعقولهم السامية ومداركهم الواسعة انما هو صحيح لارد
عليه لانه لا يوجد من عظيم بين قديم او جديد الا وهو متضايق من
فضله متملئ من اذبه وذلك لان الله الذي وهب العظماء الحكمة والسداد قد
وهبهم ايضا رقة الشعور وشدة التأثر والانفعال ولذلك تراهم يتضايقون
جداً من كل مدع ويكتبون كثيراً اذا عبث بالادب عابث ولقد كان

المتني على جلالة قدره وسعة حاله وغناه عن غيره يتضايق كثيراً من الذين
يدعون الشعر ويزاحمون حتى لقد كان يخفي فرط تأثره طي كبريائه كما يبدو
من قوله

أرى المتشاعرين غروا بذمي ومن ذا يحمد الداء العضالا
ومن يك ذا فم مريض يجد مرآة به الماء الزلالا
ومن قوله لسيف الدولة
ازل حسد الحساد غني بكتبهم فانت الذي صيرتهم لي حسدا
ومن قوله ايضاً
وما التيه طبي فيهم غير اني بغيض الي الجاهل المتعائل
وقوله

يرومون شأوي في الكلام وانما يحاكي الفتى فيما خلا المنطق القرد
فهم في جموع لا يراها ابن دأية وهم في ضجيج ما يحس به الخلد
مع انهم كانوا في الحقيقة في ضجيج شديد احس به هو حتى قال ما
قال وفي هذا ما يدل على انه كان كاصحاب الملايين معذبا من فرط فضله
كعذابهم من فرط غناهم والى مثل هذه المضايقة يشير ابو بكر الخوارزمي
بقوله « على ان النظر الى عين الشمس اهون عليّ . وايسر علي عيني . من
ان انظر الى ذلك الصدر . وقد جالس فيه غير ذلك البدر . واني لاستحيي
لعيني ان افتحها على الصغير وقد جالس مجاس الكبير » الى ان يقول « فان
استلاني بذلك وجدني ضيق ساحة الصدر . قريب غور الصبر . كثير
المباراة . فليس المداراة » وهو ما يدل على انه كان معذبا لشدة تأثره من

الحالة التي يصفها على انه ما تأثر بهذا التأثر الشديد الا لعظم فضله وكونه
الخوازمي

والى مثل هذه الحال يشير ابو تمام في قوله

ومدح من ليس اهل المدح احسبه نفسي تفصل من قلبي ومن كبدي
فلو لم يكن شاعراً مجيداً من عظماء الناس لما تأثر من مدح من لا
يستحق ولا شعر بشيء من ثقل ذلك عليه بن المدح كما يمدح شعراؤنا الان
لا يهमे انصف ام ظلم

هذا وللشعراء والكتاب الكبار اقوال كثيرة تدل على انهم بين
اغنياء وفقراء كانوا معذنين مما يحيط بهم ويرونه حوالهم سواء كان من
منع الفضل لراحتهم او لشدة تأثرهم من مغايرات الواجب ودعاوى المدعين
ومزاحمة المزاحين ولذلك يصرح المتنبي بقوله

كلام اكثر من تلقى ومنظر مما يشق على الاذان والحدق

وهو قول قد املاه الضمير ودفعت اليه حقيقة الواقع
وعلى الجملة فان قول كارنيجي بان الكتاب والشعراء الكبار معذبون
عذاب الاغنياء الكبار لمن الاقوال الصحيحة التي جئنا الان عليها بالبراهين
من نفس كلامهم ولا شك ان لكتاب الافرنج وشعرائهم اقوالاً كثيرة
كهنه تدل على عذابهم من كل ما يجذونه واقعا عليهم بسبب فضلهم الا ان
هذابهم ربما يكون اشد من عذاب فضلاء العرب بسبب انتشار الصحافة
وكثرة الكتابة وبسبب من يلتف عليهم من المراسلين والمتحدثين
والمصورين والنقادين وكثرة ما يرونه من الخلط ويشاهدونه من الزلل

